مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 25، العدد (3)، ص ص 85 - 113، الرياض (2013م/ 1434هـ)

دوافع الداعية للأخذ بالوسطية في الدعوة إلى الله

«منهجاً وقصداً»

رقية بنت نصر الله نياز*

جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

(قدم للنشر في 11/ 11/ 1432هـ؛ وقبل للنشر في 30/ 12/ 1432هـ)

المستخلص: لمّا كانت الوسطية سمة ربانية لهذه الأمة الخاتمة، وكانت مفرداتها تدور حول الخيرية، والعدل، أو الميل إلى الحق دون تمييع أو غلو؛ كان حقاً على كل داعية إلى الله – تعالى – أن يأخذ بحظ وافر من هذه الصفة الشريفة منهجاً يطبقه على نفسه خلال دعوته، و مقصداً يدعو الناس للعمل به، و هذا هو صميم هدي الكتاب، وتلك هي إرشادات السنة تفيض بهذه المعاني والدلالات. إذا تقرر هذا كانت فائدة هذا البحث واضحة جلية، و إضافته للمكتبة الدعوية قيمة فريدة، لما يحويه من ذكر الأسباب والبواعث الدافعة للداعية للتحلي بالوسطية في دعوته، أو أن تكون الوسطية هدفاً وخلقاً يرشد المدعو؛ لكي يأخذ بها سلوكاً يرجو به الفلاح في الدارين، وقربة يتقرب بها إلى رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: أهداف الوسطية، وسطية الدعوة، نشر الوسطية، الداعية والوسطية، مراكز للوسطية.

Caller's Motives for *Wassatiyyah* in Approach and Aim

Ruqaia Nasrllah Neyaz*

Princess Nora Bint-Abdulrahman University

(Received 09/10/2011; accepted for publication 26/11/2011.)

Abstract: This research is intended to motivate those involved in the call to Allah to adopt *wassatiyyah* (moderation) in approach and aim. *Wassatiyyah* is greatly beneficial for the caller and the called. The caller has to be personally satisfied with its benefits, and the called have to be convinced of such benefits in their daily life and in the Hereafter. The research consists of two sections: one deals with the motives of the caller to adopt a moderate approach in promoting Islam; and the other deals with the caller's motives to persuade the called to embrace *wassatiyyah* as a lifestyle. The research affirms that *wassatiyyah* is a built-in quality and mechanism of Islam, as evidenced by statements from the Qur'an and the Sunnah. *Wassatiyyah* is deeply rooted in the call to Islam. The research also shows the effectiveness of *wassatiyyah* on the caller, the called and the larger host community in this world and the Hereafter. The research recommends that due attention be given to *wassatiyyah* in thought and practice at the callers' level as well as the community level, with special consideration to disagreement etiquette. Towards this end, related courses can be introduced at the final stages of general education. Also, seminars and courses can be held to introduce *wassatiyyah* to students preparing for studies abroad.

Key words: *Wassatiyyah* (moderation); call to Allah; motivation; approach; and balance.

(*) أستاذ مشارك في جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب (7431)، الرمز (11462)

(*) Associate Professor, Princess Nora Bint-Abdulrahman University
Riyadh, K.S.A, p.o box: 7431, Postal Code:11462

البريد الإلكتروني: e-mail: dr.rtnn7@msn.com

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن الوسطية معناها العدل والحق والتوازن بين طرفي الإفراط والتفريط، سمة بارزة للدعوة الإسلامية الخاتمة، وخاصية من أهم خصائص أتباعها كما بين ﷻ ذلك بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (البقرة:143).

ويقول الإمام الطبري: «وأرى أن الله – تعالى – إنما وصفهم بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى عليه السلام ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها»[1].

والواجب على أتباع الدعوة الإسلامية العمل بهذه الوسطية التي نالوا بها جدارتهم، واستحقوا رفعتهم، ومنها انبثقت عالميتهم ومسؤوليتهم لريادة البشرية تشريفاً وتكليفاً ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة:143).

ولقد عنيت الدعوة الإسلامية عناية خاصة بمنهج الوسط، وحثت على القصد والاعتدال، وحذرت مما يضاده غلواً وجفاء، إفراطاً وتفريطاً، فهما بابان لولوج الشيطان ونزغاته، كما بين ذلك العلامة ابن القيم حين نقل عن بعض السلف أنه قال: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر، زيادة أو نقصاناً»[2].

إن موضوع الوسطية من الموضوعات التي سبق أن وضعت لبناتها بما كتبه علماؤنا الأقدمون والمعاصرون، لكن الإضافة في هذا البحث هو ربطه بصفة مباشرة بالدعوة إلى الله[3]، وعرضه بصورة تجذب الداعية إليه، خاصة إذا علمنا أن الوسطية قاعدة عامة تسري في جميع شؤون الحياة، بل إنها من أساسيات الحياة السليمة.

وإن ما يعانيه كثير من دعاة اليوم من مجانبة العدل

(1) انظر: تفسير الطبري. المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للطبري (3/ 142).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم الجوزية (2/ 108، 496). وانظر: الروح، لابن القيم ص (257).

(3) مع دقة البحث في هذا الجانب، إلا أني لم أجد من ربط الوسطية بالدعوة إلى الله إلا بصورة بسيطة، وفي صفحات محدودة.

والتوازن في كثير من أمور الدعوة هو بسبب عدم الأخذ بالوسطية، فصارت الدعوة عرضة للتحريف والابتداع، فانحرفت عن المنهج الذي ارتضاه الله لنبيه ﷺ في قوله: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:108).

ولقد جاء هذا البحث موجهاً للداعية ترغيباً له بالعمل بوسطية الإسلام منهجاً وقصداً؛ لأن في ذلك الخير كله، وهذا لن يتأتى إلا من خلال أمرين:

الأمر الأول: قناعة الداعية الشخصية بأهمية الوسطية، فالداعية لا يمكن أن يرغب في أمر، وهو بعيد عن قناعته، وإن الدعوة للعمل بوسطية الإسلام لن تتأتى إلا إذا تولدت عنده قناعة شخصية بأهمية الوسطية، وأن العمل بهذه الوسطية يعد من صميم عمله؛ لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدعوة إلى الله.

الأمر الثاني: أن **الداعية** لا يمكن أن يُرَغب المدعوين للعمل بوسطية الإسلام إلا إذا أظهر تأثيرها المفيد عليهم في معاشهم ومعادهم.

لهذا جاء البحث في قسمين أساسيين هما: دوافع الداعية الشخصية مع وسطية الإسلام، ثم دوافع الداعية مع المدعوين نحو وسطية الإسلام، وكان على النحو التالي:

* **المقدمة: في بيان أهمية الموضوع وسبب اختياره.**
* **المبحث التمهيدي، ويشتمل على مطلبين:**
  - المطلب الأول: تعريف الوسطية لغة.
  - المطلب الثاني: تعريف الوسطية اصطلاحاً.
* **المبحث الأول: دوافع الداعية لسلوك الوسطية منهجاً في دعوته، ويشتمل على خمسة مطالب:**
  - المطلب الأول: الوسطية مصطلح شرعي بنصوص الكتاب، وصحيح السنة.
  - المطلب الثاني: تجنب المفهوم الخاطئ للوسطية.
  - المطلب الثالث: وجود صلة وطيدة بين الوسطية والدعوة الإسلامية.
  - المطلب الرابع: سعة مجال وسطية الإسلام.
  - المطلب الخامس: الوسطية سبب للريادة والشهادة على جميع الأمم.
* **المبحث الثاني: دوافع الداعية لإرشاد المدعوين لسلوك الوسطية منهجاً في حياتهم، ويشتمل على ستة مطالب:**
  - المطلب الأول: الوسطية تعمل على تمكين الدين، وترسيخه في نفوس المدعوين.
  - المطلب الثاني: الوسطية تحقق الأمن والأمان في المجتمع.
  - المطلب الثالث: الوسطية تحقق الوحدة والألفة بين الناس.
  - المطلب الرابع: الوسطية تسهم في إبعاد المجتمع من الميل والانحراف، وتشجع الناس على الأخذ بالمنهج المستقيم.

- المطلب الخامس: الوسطية توازن بين المطالب الدنيوية والمقاصد الأخروية.
- المطلب السادس: الوسطية قوة وتميز للأمة الإسلامية.

من هنا نقول: إن مهمة الداعية مع الوسطية لا حدود لها، والسبيل الأوحد للفوز بها هو ما خطه الإمام ابن القيم حين تحدث عن الغلو والمجاوزه، ومقابلهما، وهما التفريط والتقصير، وقال: إنهما «آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد و القصد والعمل إلا من مشى خلف رسول الله ﷺ، وترك أقوال الناس وآراءهم، لما جاء به عليه السلام، لا من ترك ما جاء به لأقوالهم وآرائهم. وهذان المرضان الخطران قد استوليا على أكثر بني آدم؛ ولهذا حذر السلف منهما أشد التحذير، وخوفوا من ابتلي بأحدهما بالهلاك، وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال أكثر الخلق، يكون مقصراً مفرطاً في بعض دينه، غالياً متجاوزاً في بعضه، والمهدي من هداه الله»[4].

***

المبحث التمهيدي

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الوسطية في اللغة:

المفهوم اللغوي للوسطية:

إن أصل كلمة وسطية مأخوذ من الفعل الثلاثي «وَسَطَ» حيث الواو والسين والطاء بناء صحيح[5].

ومشتقات هذا الفعل كثيرة، منها على سبيل المثال: وسَّطه، يوسط، وساطة، الأوسط، أواسط، الموسط، الواسط، الواسطة، الوسط، الوسْط، الوسطى، الوسيط: الوَسُط، المتوسط، وسطاء... وغير ذلك من المشتقات التي تولدت عنها معان مختلفة كثيرة.

وبلا شك فإن كل هذه المعاني لا تعنينا في موضوع البحث، وبالتالي سنغض الطرف عنها، ونركز على ما نحن بصدد بيانه من خلال هذه الدراسة، وهو موضوع: (وسطية الإسلام).

وللوقوف على الدلالة اللغوية الدقيقة لكلمة «الوسط» ننقل ما قاله علماء اللغة في ذلك، يقول ابن منظور: وسط الشيء ما بين طرفيه... ووسط الشيء أفضله وخياره... ويقال: وسطت القوم أَسِطُهم وسطا، وسِطَةً، أي: توسطتهم، ووسَطَ الشيء، وتوسطه: صار في وسطه، ووسوط الشمس: توسطها في السماء. وواسط الرحل وواسطته...: ما بين القادمة والآخرة[6].

أما الفيروز آبادي فيقول: الوَسَط محركة من كل شيء أعدله... وهو وسيط فيهم، أي: أوسطهم نسباً،

(4) انظر: الروح، لابن القيم ص (257).

(5) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (وسط) (6/ 108).

(6) انظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (وسط) (15/ 208 – 210).

وأرفعهم محلاً[7].

وجاء في المعجم الوسيط: وسط الشيء يسطه وسطا وسطة: صار في وسطه يقال: وسط القوم...: توسط بينهم بالحق، والعدل... والوسيط: بين المتحاصمين... والمعتدل بين شيئين... المعتدل ووسط الشيء ما بين طرفيه، وهو منه، وهو المعتدل من كل شيء[8].

المطلب الثاني: تعريف الوسطية في الاصطلاح:

المفهوم الاصطلاحي لوسطية الإسلام:

من خلال الرجوع إلى ما كتبه علماء السلف والخلف حول وسطية الإسلام، والأمة الوسط، نلاحظ أن المعنى الاصطلاحي يدور حول معاني: التوازن، والخيار، والعدالة، والفضل، والشرف، والرفعة، وكلها حالات محمودة تعصم الإنسان من الزيغ والانحراف عن جادة السبل المستقيمة.

هذا يظهر بوضوح من خلال أقوال ألائمة المعتبرين في هذا الصدد، فعلى سبيل المثال يقول الإمام الطبري رحمه الله: الوسط: الذي هو بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين، مثل وسط الدار، وإنما وصفهم الله – تعالى – ذكره بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها[9].

أما الحافظ ابن كثير رحمه الله فيقول في تفسير قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:143): «والوسط – ها هنا –: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرها»[10].

أما الإمام ابن القيم رحمه الله فيقول في تفسير الآية السابقة: «أخبر أنه جعلهم أمة خيارا عدولا، هذه حقيقة الوسط، فهم خير الأمم، وأعدلها في أقوالهم وأعمالهم وإرادتهم ونياتهم، وبهذا استحقوا أن يكونوا شهداء للرسل على أممهم يوم القيامة»[11].

ويوجه الشيخ السعدي رحمه الله إلى هذا المعنى بقوله: «أي: عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخلة تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في أمور الدين»[12].

ويؤكد العلامة محمد رشيد رضا هذه المعاني بقوله: «قالوا: إن الوسط هو العدل والخيار؛ وذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة

(7) انظر: القاموس المحيط (2/ 391) فصل الواو، باب الطاء.

(8) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ورفاقه (2/ 1031).

(9) انظر: تفسير الطبري المسمى بـ «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للطبري (3/ 142).

(10) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (1/ 454).

(11) إعلام الموقعين، لابن القيم (4/ 133).

(12) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (1/ 157).

القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو: الوسط بين طرفي الأمر، أي: المتوسط بينها»[13].

ويصف الدكتور يوسف القرضاوي الوسطية بقوله: «نعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله، ويحيف عليه»[14].

ويستعرض الشيخ عبد العزيز الجليل المعنى الاصطلاحي للوسطية مفهوم الوسطية، وأنه «يتحدد في معنيين هما:

الأول: الخيرية والأفضلية.

الثاني: التوازن والعدل والقيام بالحق، والبينة بين الإفراط والتفريط.

وكلا المعنيين داخل في الآخر، فإن الخيرية والأفضلية لم تتصف بها هذه الأمة إلا لكونها قائمة بالعدل والقسط والحق؛ ولكونها وسطاً بين الغالي والجافي. وكل من قام بالعدل والحق فهو الأولى بصفة الخيرية والفضل»[15].

ويذكر الدكتور محمد الفرفور الوسطية بقوله: «التوسط حالة محمودة، غالباً تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطرة، وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط»[16].

أما الشيخ عبد الرحمن الميداني فيعرف الوسطية بقوله: «إنها منطقة تقع بين أقصيين متضادين منحدرين من ذات اليمين، ومن ذات الشمال، وهما طرفان متباعدان متباينان، أوسطهما القمة المرتفعة بينهما»[17].

وبعد استعراض بعض المعاني الاصطلاحية التي ارتضاها بعض الأئمة، والعلماء المعاصرين لكلمة «الوسط» أو «الوسطية» نخلص إلى أن كل هذه المعاني الاصطلاحية تحقق الدلالات اللغوية السابقة، وتدور في فلكها.

***

المبحث الأول

دوافع الداعية لسلوك الوسطية منهجاً في دعوته

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: الوسطية مصطلح شرعي بنصوص الكتاب وصحيح السنة:

مما يجب أن يعلم علم اليقين أن تأكيد مصطلحات الدعوة الإسلامية بالسند الشرعي يعطي لها ميزة وقوة

(13) تفسير القرآن الحكيم، المسمى بـ« تفسيرالمنار»، لمحمد رشيد رضا (2/ 4).

(14) الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي ص (115).

(15) كتاب «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً»، لعبد العزيز الجليل، موقع مسلم نت (www.almoslim.com).

(16) الوسطية في الإسلام، لمحمد عبد اللطيف الفرفور ص (27).

(17) الوسطية في الإسلام، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ص (14).

عند الدعاة، وهـذه حقيقـة ثابتـة في كـل أمورنـا، نحـن المسلمين.

فـالقرآن الكـريم والـسنة المطهـرة مـصدران أساسيان للدعوة الإسلامية، وسلامة مـنهج الـداعي في دعوته تعتمد عليهما.

وقيـام الداعيـة بإخـضاع مـصطلحات الـدعوة لنصوص الكتاب والسنة يعطي تلك المصطلحات صيغة القـوة، وبالتـالي تبـاشر قلبـه، فـلا تـؤثر فيـه الـشبهات والأباطيل التي تحيط بالـدعوة الإسـلامية، ولـو وردت عليه الـشبه بعـدد أمـواج البحـر مـا أزالـت يقينـه، ولا قدحت فيه شكاً، فلا تـستفزه الـشبهات، بـل إذا وردت عليه ردها حرس الكتاب والسنة مغلولة مغلوبة[18]. ومـا ذكر سابقاً ينطبق تماماً على الوسـطية، فكونهـا تنتمـي إلى الإسلام بـسند شرعـي مـن نـصوص الكتـاب والـسنة وسيرة السلف الـصالح يعطـي الداعيـة وثيقـة شرعيـة للعمل، ويزيد من تزكية ذلك الأمر.

ومن هذا الباب قال الإمام القيم: «فكـل علـم لا يستند إلى دليل فدعوى لا دليل عليها، وحكم لا برهـان عند قائله، وما كان كذلك لم يكن علماً»[19].

وقد وردت كلمة «وسط» في القرآن في عدة مواضع وذلك بتصاريفها المتعددة حيث وردت بلفظ «وسطاً» في قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:143).

ووردت بلفظ «الوسطى» في قوله – تعالى –: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ (البقرة:238).

وردت بلفظ «أوسط» في قوله – تعالى –: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم:28).

وردت بلفظ «فَوَسَطْنَ» في قوله – تعالى –: ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴾ (العاديات:5).

ومن خـلال الرجـوع إلى كـلام المفـسرين حـول معاني هذه الكلمات واستعمالاتها[20] نجد أنها لا تخـرج في بيانها عما سبق أن قررناه في المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الوسطية.

وكذلك وردت بعض الأحاديث التي فيها الدلالة على معاني الوسطية[21] ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يدعى نوح يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك، ياربّ، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنَّه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم

(18) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية (1/ 140).

(19) مـدارج الـسالكين بـين منـازل إيـاك نعبـد وإيـاك نـستعين، لابن القيم (3/ 432).

(20) انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، لناصر العمـر ص (19 – 32).

(21) انظر: المرجع السابق ص (33 – 38).

شهيداً، فذلك قوله – جل ذكره –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾. والوسط: العدل)[22]. وكذلك في قوله ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنّة، وأعلى الجنة)[23].

وكذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خط خطاً مربعاً، وخطّ وسط الخطّ المربّع، وخطوطاً إلى جانب الخطّ الذي وسط الخطّ المربّع، وخطًّا خارجاً من الخطّ المربع، فقال: (أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا الإنسان الخطّ الأوسط، وهذه الخطوط إلى جانبه الأعراض تنهشه)[24].

ومعاني الوسط في هذه الأحاديث واضحة، حيث فسره بالعدل، والأعدل والأفضل[25]، وبذا تتضافر السنة النبوية، مع آيات القرآن الكريم؛ للتأكيد على أهمية الوسطية ومكانتها في دعوة الإسلام.

المطلب الثاني: تجنب المفهوم الخاطئ للوسطية:

إن تعامل الداعية مع وسطية الإسلام لا يتوقف عند معرفة الجانب المضيء للوسطية، بل لا بد أن يدرك أن هناك مفهوماً خاطئاً للوسطية.

هذا المفهوم قائم عند بعض المنتسبين للإسلام لكنه مما يخالف هدي الإسلام الذي يأمر بالعزة والامتياز، ويدعو إلى الإتقان والرفعة، والنظر إلى معالي الأمور، ويتلخص هذا المفهوم بأن يكون للشيء الوسط طرفان: أحدهما في العلو، والآخر في الدنو.

وهذا المفهوم وإن كان قد يصح عند علماء اللغة كما صرح غير واحد منهم بذلك[26]، حيث أفادوا أن الشيء الوسط: أي ما بين الجيد والرديء، وهذا لا يصح أن يكن مفسراً لوسطية الإسلام تحديداً، لما فيه من التجني والإساءة الصريحة للإسلام في أصوله وتشريعاته ومبادئه؛ لأن كون الشيء بين الجيد والرديء لا يعني وجود أي امتياز أو أفضلية، فهو هنا يجمع بين خصائص الرديء وخصائص الجيد، ألا ترى أن المرء المتوسط الذكاء لا يمكن أن يكون أفضل من الذكي اللامع،

(22) صحيح البخاري باب: سورة البقرة، رقم الحديث (4217) (4/ 1632).

(23) أخرجه البخاري في صحيحه باب: درجات المجاهدين...، رقم الحديث (2637) (3/ 1028).

(24) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، باب: الأخلاق المذمومة، رقم الحديث (8857) (3/ 819)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم الحديث (3409) (2/ 414).

(25) انظر: الوسطية في ضوء القرآن الكريم، لناصر العمر ص (33، 36).

(26) انظر: لسان العرب، مادة (وسط) (15/ 210)، ومختار الصحاح، مادة (وسط) ص (300)، والمعجم الوسط (2/ 1031).

وهكذا المتوسط في أداء الواجب يستحيل أن يكون أفضل ممن أتقن عمله. وهنا ستفقد الأمة المسلمة خصائص النبوغ والصدارة التي خصها الله – تعالى – بها في قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:143)، وعليه يكون تفسير هذه الآية: إن الله جعل أمة الإسلام أمة متوسطة بين الأمم بحيث يكون هناك أمم أفضل منهم، وأمم دونهم في الفضل؟؟.

وهذا المعنى لا يستقيم مع قوله – تعالى –: ﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:143) ولأن الشاهد لابد أن يكون الأمثل الذي يحتذى به حتى يكون لشهادته ثقل. وكذلك فإن سوء الفهم العام لمعنى الوسطية سينعكس في سلوك المسلمين، وفي المفهومات الدينية، وفي الأحكام التشريعية، فعلى سبيل المثال: في كفارة إفطار المكلف شرعاً في رمضان والمبينة في قوله – تعالى –: ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (المائدة:89) يكون تفسير إطعام المساكين بأنه طعام وسط بين أفضل ما يأكلون، وبين الفضلات التي لا يأكلونها، وهذا لا يستقيم، لأن المعنى الراجح هو أن يكون إطعام المسكين في الكفارة من أفضل وأجود، أو أوسط ما تطعمون به أهليكم.

إن المشكلة الأساسية لهذا الفهم الخاطئ يكمن في ضياع المسار الصحيح للوسطية، والرضا بالحل الوسط دون التطلع إلى القمة، ودون الرغبة في الأجود والأفضل، وهذا يؤدي بالدعاة كأفراد، ثم كمجتمعات إلى التنازل عن كثير من طموحاتهم، فلا يبذلون أي جهد للارتقاء والارتفاع؛ لتحسين أوضاعهم لتكوين الأمة الإسلامية، أمة الخير، خير أمة أخرجت للناس.

المطلب الثالث: وجود صلة وطيدة بين الوسطية والدعوة الإسلامية:

من المقرر أن الإنسان مجبول على إعطاء اهتمام أكبر للشيء الذي ينتمي إليه، وفي الغالب يشعر الإنسان كذلك بمسؤولية أكبر، تجاه التخصص الذي يعمل فيه. ووجود علاقة بين الوسطية والدعوة الإسلامية يولد عند الداعية انطباعاً بأن العمل بالوسطية من واجباته الدعوية الأساسية، فيحرص حينئذ على أن يكون له دور إيجابي مع الوسطية.

وهناك علاقة وطيدة بين دعوة الإسلام ووسطيته تمثلت في كونهما خاصية لأمة محمد ﷺ ومحوراً لتميز هذه الأمة، فقد جعل ﷻ الوسطية خاصية هذه الأمة في قوله – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:143)، وهكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الوجهان الحقيقيان للدعوة إلى الله قد جعلهما الله خاصية لهذه الأمة في قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران:110).

كذلك فإن أهم سمة في ملامح الوسطية هي

الخيرية بدلالة الآية السابقة، حيث جمعت معاني الخيرية[27] والوسطية حتى جاءت إحداهما تفسيراً للآخر، وفي بيان هذا يقول الإمام ابن كثير: «والوسط – ها هنا – الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرها». وفي تفسيره لقوله – تعالى –: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 110) قال: «والمعنى: أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس»[28].

وكذلك تتضح الصلة من حيث وجود تلازم بينهما، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الملازم للوسطية هو الذي يوصف بالخيرية، والمقصود بذلك أن يعرف الداعية متى يُرَغِّب ومتى يُرَهِّب، ومتى يستخدم الشدة، ومتى يعمل باللين بجرعات مناسبة حسب حالات المدعوين، كما أكد هذا المفهوم الإمام الشاطبي بقوله: «فطرف التشديد – وعامة ما يكون في التخويف والترهيب والزجر – يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الانحلال في الدين، وطرف التخفيف – وعامة ما يكون في التوجيه والترغيب والترخيص – يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد، فإذا لم يكن هذا ولا ذاك رأيت التوسط لائحاً، ومسلك الاعتدال واضحاً، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والمعقل الذي يلجأ إليه»[29].

فخيرية الدعوة تستلزم الوسطية، وخيرية الأمة المسلمة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بين ذلك الفاروق ﷺ لما قرأ الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: 110) ثم قال: «يا أيها الناس، من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله منها»[30]. وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما بين ذلك السلف والخلف[31].

المطلب الرابع: سعة مجال وسطية الإسلام:

شغلت الوسطية حيزاً كبيراً في دعوة الإسلام، ويدل على ذلك ارتباط ملامح الوسطية وتجليها بوضوح مع أركان الدعوة الإسلامية، فالداعية – وهو الركن الأساسي في عملية الدعوة إلى الله – مطالب بتحري منهج التوسط أثناء دعوته دون غلو أو تفريط، وفي بيان هذا يقول ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

(27) الوسطية في ضوء القرآن الكريم، ناصر العمر ص (85). والوسطية في القرآن الكريم، لعلي الصلابي ص (67).

(28) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (1/ 454)، وتفسير الطبري، المسمى «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للطبري (4/ 45).

(29) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (2/ 163).

(30) انظر: تفسير الطبري المسمى «جامع البيان عن تأويل القرآن»، للطبري (7/ 102).

(31) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود (7/ 102). وتفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (2/ 6)، والوسطية في القرآن الكريم، لعلي الصلابي ص (73 – 82).

ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل: 125)؛ فالحكمة التي هي بمعنى القصد والاعتدال، ووضع الشيء في موضعه الصحيح بلا زيادة ولا نقصان، هي الضابط لسلوك الداعية، فحيث كانت الحكمة كانت الوسطية، وحيث فقدت صار هناك انحراف عن المنهج الصحيح[32]، فهذا الأمر الإلهي إلزام للداعية للعمل بالوسطية، ليكون في منطقة الأمان والاستقامة، كما بين ذلك – سبحانه – في قوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ ﴾ (الشورى:15).

أضف إلى ذلك غزارة موضوعات الوسطية في الدعوة الإسلامية، حيث قرر القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية أن الوسطية منهج حياة في أبواب كثيرة، في الاعتقاد، والتشريع، والتكليف، والعبادة، والشهادة، والحكم، والأنظمة المختلفة، والمعاملات، والأخلاق، وكسب المال وإنفاقه، ومطالب النفس وشهاوتها[33]، فهذه المجالات المختلفة تعد موضوعات الدعوة الإسلامية حيث لا يمكن أن تقدم دعوة إلا من خلالها.

وفي قضية توجيه الدعوة للمدعوين، فإن الداعية مطالب أن يوجه دعوته لكل المدعوين بجميع أصنافهم، ومذاهبهم وتوجهاتهم، فالصغير له حق في الدعوة كالكبير، والمرأة والرجل، والقريب والبعيد، سيان في لزوم توجيه الدعوة إليهم، والكافر والمسلم، والمنافق والتقي، كل هؤلاء لهم نصيب في وسطية الإسلام، ولعل في قصة الثلاثة الرهط الذين تقالوا عبادتهم أمام عبادة الرسول ﷺ حتى كادوا أن يقعوا في الغلو، فردهم النبي ﷺ إلى الاعتدال بحكمة بالغة[34]. هذا المثال يعطي نموذجاً لصنف من أصناف المدعوين، وهم الشباب الأتقياء. وكذلك ظهرت وسطية الدعوة الإسلامية مع صنف من أصناف المدعوين والمتمثل في النساء حيث دخل النبي ﷺ على عائشة رضي الله عنها وعندها امرأة فقال: من هذه؟ فقالت: فلانه لا تنام من الليل، فذكرت من صلاتها قال: (عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا)[35]، ليس هذا فحسب، بل إن وسطية الدعوة الإسلامية لم تكن قاصرة على المسلمين والأتقياء، بل لأعداد الدعوة الإسلامية نصيب من هذه الوسطية، ومن الشواهد عليها قوله – تعالى –: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ

(32) الوسطية في ضوء القرآن الكريم، لناصر العمر ص (204).

(33) انظر الأمثلة على ذلك في: الوسطية في القرآن الكريم ص (131 – 259). وللاستزادة انظر: الوسطية في القرآن الكريم، لعلي الصلابي ص (183)، والوسطية في الإسلام، لعبد الرحمن حبنكة الميداني ص (7)، والوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق، لزيد الزيد ص (23 – 80).

(34) القصة في صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب: فضل أصحاب النبي ﷺ، حديث رقم (2600) (4/ 22).

(35) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب: ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم (1151) (2/ 16).

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: 160 – 161)، وكذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد: 27) حيث ذم الله – تعالى – بني إسرائيل من النصارى؛ لأنهم بالغوا في العبادة، والرياضة، والانقطاع عن الناس، وإيثار التبتل[36].

فالداعية ملزم بتطبيق منهج الوسطية مع أمة الدعوة تماماً كأمة الاستجابة، لا فرق بين هؤلاء الأصناف من المدعوين، وهذا بلا شك يوسع مجال الدعوة أمام الداعية، ومن ثم تسهل عملية الدعوة إلى الله، حيث لا يقف الداعية متردداً محتاراً، بل يسلك المنهج المعتدل الحكيم مع كل أصناف المدعوين.

وكذلك حين استخدام العوامل المساعدة من الأساليب والوسائل في الدعوة إلى الله، فالداعية له أن يتخذ ما يشاء من أساليب ووسائل دعوية طالما أنها منضبطة بحدود الله تعالى، منسجمة مع الموقف الدعوي، دون إفراط ولا تفريط، كما يدل على ذلك قول رسول الله ﷺ: (إن الله ﷻ فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها)[37]، فالوسطية هنا تعطي الداعية فرصة لتنويع الوسيلة والأسلوب، وتطويرهما بما يغطي حاجات الدعوة، ويلبي متطلبات المدعوين، دون تعد على حرمات الله تعالى، كمن يجيز الفناء كوسيلة في الدعوة إلى الله، فذا مفرط مضيع.

وهكذا نرى أن الوسطية في الدعوة إلى الله منهج شامل متكامل يرتبط بأركان الدعوة كلها، فالداعية، والمدعو، وموضوع الدعوة وأساليبها ووسائلها جميعهم يدخلون في مجال الوسطية.

إن هذا المفهوم، وهذه النظرة لمجالات وسطية الدعوة الإسلامية، يعطي الداعية انطباعاً عاماً بأهمية الوسطية في الإسلام وسعة مجالها، وبالتالي يتولد عنده إدراك بإمكانية تطبيق الوسطية في مساحة واسعة من الحياة، وهذا كله يعمل على استمرار عملية الدعوة إلى الله بسهولة ويسر.

المطلب الخامس: الوسطية سبب للريادة والشهادة على جميع الأمم:

جعل الله ﷻ هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين، ووسطاً في الأنبياء بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من

(36) انظر: تفسير القاسمي المسمى بـ «محاسن التأويل»، لمحمد جمال الدين القاسمي (16/ 8).

(37) أخرجه الدراقطني في سننه، كتاب الرضاع، حديث رقم (42) (4/ 183). وقال الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص (338): الحديث حسن لغيره.

جفاهم كاليهود، وذلك بأن آمنوا بهم على الوجه اللائق.

وجعلهم الله وسطاً في الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى واستهتارهم، وجعلهم الله كذلك وسطاً في باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلى في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم. ولا كالنصارى الذين لا ينجسون أبداً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا حتى المحرمات.

إن طهارة أمة محمد ﷺ أكمل طهارة وأتمها، ليس هذا فحسب، بل إن الإسلام أباح لهم الطيبات من المطاعم والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك.

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، من الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحكمة والعدل والإحسان مالم يهبه لأمة سواهم[38].

ولذلك كانوا ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:143)، وكان هذا عاملا لمنحها القدرة، وتحميلها المسؤولية للدعوة، والتصدي لأصحاب العقائد والمذاهب الوضعية.

وهكذا أسس الله لهذه الأمة مسؤولية الدعوة الإسلامية انطلاقاً من هذا التوسط بكل معانيه، فقال – سبحانه –: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ (البقرة:143). والشهادة في الواقع مسؤولية إنسانية عامة، وهي شكل من أشكال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يفرض على الإنسان السوي – وعلى رأسهم الداعية – أن ينهض به تلقائياً بدافع من قلبه اليقظ، ووازع من ضميره الحي.

إن هذه الشهادة تعطي الداعية مسؤولية فيها معنى التكليف، ومعنى التشريف، تكليف من منطلق الفلاح الإنساني، فيبدأ بالنقد الذاتي، ويسلطه على نفسه، ويبصرها بالعواقب، ليغلب جوانب الخير على جوانب الشر، ويرتب على ذلك من الآثار الخطيرة ما يحفز هممها إلى معالي الأمور.

والشهادة – أيضاً – تشريف وتكريم، فهي ليست عشوائية مسيبة، بل محاسبة ومراقبة من قبل عظيم رحيم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:143)، وهي فوق هذا في نظر علام الغيوب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ (النساء:33)، وهكذا تتسلسل شهادة إثر شهادة، تفرض السيادة والريادة للدعوة الإسلامية، تبدأ من الضمير الشخصي للداعية، ثم تنتقل إلى المجتمع، ويحكم لها أو عليها بأحكام الكتاب والسنة. هذه الريادة والسيادة المترتبة على ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:143) لا تتوقف في هذه الحياة الدنيا، بل تمتد حتى يوم الدين.

والذي يهمنا تأكيده أن اجتباء الله للأمة

(38) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي (1/ 158).

الإسلامية الوسط، إكرام واصطفاء إلهي من جانب، وبناء على الخصائص المتفوقة التي تميزت بها هذه الأمة من جانب آخر ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ (الأنعام:124).

إن هذه الخصائص والمواصفات ستترك آثارها في نفسية الداعية الحق، فيستشعر دائماً العزة بالله، والتواضع له – سبحانه – ثم لعباده، والمسؤولية الكبيرة أمامه اتجاه هذه الدعوة الخاتمة، دعوة الإسلام(39).

***

المبحث الثاني

دوافع الداعية لإرشاد المدعوين

لسلوك الوسطية منهجاً في حياتهم

إن قناعة الداعية بأهمية وسطية الإسلام تمكنه أن ينقل هذه القناعة إلى المدعوين بتلقائية دون عناء؛ لتكون الوسطية بعد ذلك منهجاً في سلوكهم الحياتية، ويكون ذلك من خلال بيان أهمية الوسطية، وأثرها المفيد في الناس والمجتمع في الدين والدنيا، وفي المعاش والمعاد(40)، ويتضح ذلك من خلال جوانب عدة نحصرها في الآتي:

- الوسطية تعمل على تمكين الدين وترسيخه في نفوس المدعوين.
- الوسطية تحقق الأمن والآمان في المجتمع.
- الوسطية تحقق الوحدة والألفة بين الناس.
- الوسطية تسهم في إبعاد المجتمع من الميل والانحراف، وتشجع الناس على الأخذ بالمنهج المستقيم.
- الوسطية توازن بين المطالب الدنيوية والمقاصد الأخروية.
- الوسطية قوة وتميز للأمة الإسلامية.

هذه هي أهم الجوانب التي من خلالها يمكن للداعية أن يلفت أنظار المدعوين إلى أهمية الوسطية، وبيان ذلك سيكون تحت ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول: الوسطية تعمل على تمكين الدين وترسيخه في نفوس المدعوين:

فالإسلام وازن بين حاجات الإنسان في الدنيا، وحاجاته لإدراك نعيم الآخرة، فالحياة ليست غاية، بل وسيلة للآخرة. والإسلام جاء بعقائد وعبادات وأخلاق وآداب، وهي ميسورة مقدور عليها، فالله ﷻ لا يكلف بمستحيل، ولا يكلف بأمر غير مفهوم أو أمر خيالي.

فالإسلام جعل العبادات وسطاً بين الأديان والملل والنحل الأخرى، حيث جنح بعضها إلى التمسك بالمادة، والعمل للدنيا المهدر لكل جانب عبادي إلهي، وجنح بعضها الآخر إلى إلزام اتباعها بالتفرغ الكامل

---

(39) انظر: الوسطية في الإسلام، لمحمد فرفور ص (138 – 145).

(40) مما ينبغي التنبيه عليه هنا أن هذا المبحث، وإن كان موجهاً للمدعوين، إلا أنه يشمل الداعية؛ لأن الداعية مطالب بدعوة نفسه بناء على قول الله – تعالى –: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس: 7 – 10).

للعبادة والانقطاع الكلي عن الحياة، والنأي الكامل عن العمل والإنتاج، كما في الرهبانية النصرانية، أما الإسلام فوسط بين الجانب المادي، والجانب العبادي، فلم يجعل أحد الجوانب يطغى على الجانب الآخر، وهذا هو سر الخوف من شرع الله وإعمال مقتضاه؛ لأن ذلك عندما يتم سيقصي القواعد التي تعبر عن الغلو أو التطرف القائم في هذا الدين أو ذلك، وهي أديان نسخها الإسلام بشرعه، وهو شرع العليم الخبير.

وكذلك وسطية الإسلام في الأخلاق تعمل على تمكين الدين وترسيخه. فالإسلام جاء وسطاً بين غلاة المثاليين الذين باعدوا بين الإنسان وبين إنسانيته، وسنوا له قواعد وآداباً لا يمكنه أن يعملها، وبين غلاة المدنيين الواقعيين الذين حسبوا الإنسان أشبه ما يكون بالعجماوات، فوضعوا له من القواعد ذات الأغوار الإباحية ما لا يقبله عقل، ولا يقره ضمير. أما الإسلام فلم يهدر النوازع والرغبات، ونظرته نظرة كلية شاملة للإنسان، وهي نظرة تكريم للذات وتقدير للصفات[41]. فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب فيه العقل وفيه الشهوة، قد هدي للنجدين، وتهيأ لسلوك السبيلين، إما شاكراً وإما كفورا، فيه استعداد للفجور، كما له استعداد للتقوى، ومهمته جهاد نفسه ورياضتها حتى تزكى[42].

فقال – تعالى –: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس: 7 – 10).

فمراعاة الدعوة الإسلامية لروح الإنسان ومادته والجمع بينهما، وعدم إهداره النوازع والرغبات بوسطية معتدلة يعمل على تمكين الدين وترسيخه داخل المدعوين.

المطلب الثاني: الوسطية تحقق الأمن والآمان في المجتمع:

الوسطية تمثل منطقة الأمان والبعد عن الخطر، فالأطراف عادة تتعرض للخطر والفساد بخلاف الوسط فهو محمي ومحروس بما حوله، والأمن بمعناه المباشر هو الإطار الذي يحيط بأمور كثيرة ابتداء من الغذاء والاجتماع والفكر والاقتصاد، وانتهاء بالإجراءات البسيطة بتأمين المواطنين داخل الدولة ضد الأخطار المحتملة التي تمس المواطنين أنفسهم في سلامتهم، وحياتهم، وحرياتهم، وأموالهم[43].

فالأمن حالة يشعر فيها أفراد المجتمع بالاستقرار والسكينة تتناسب طردياً مع الامتناع عن ارتكاب

(41) انظر: الوسطية كخصيصة من خصائص القاعدة الشرعية الإسلامية، لمحمد محمد شتا أبو سعد ص (28)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (20)، السنة (5)، السعودية.

(42) الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي ص (126).

(43) تعامل المؤسسات الأمنية السعودية مع الإرهاب، لبركه بن زامل الحوشاني ص (5)، بحث قدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، 1425هـ.

الأفعال التي تحرمها التشريعات والأنظمة في ذلك المجتمع.

ويعد الأمن من الضروريات التي يحتاجها الإنسان، إذا فقدها اختل توازنه، واضطربت شخصيته، وقد جاء الإسلام بالحفاظ على الضروريات تحقيقاً للمصالح ودرءاً للمفاسد.

ونعمة الأمن من النعم التي امتن الله ﷻ بها علينا، فقال – تعالى –: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ (قريش:4).

ونعمة الأمن من المطالب التي طلبها إبراهيم عليه السلام من ربه كما ذكر ذلك في القرآن الكريم بقوله – تعالى –: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (البقرة:126).

وقول الرسول ﷺ: (من أصبح معافى في جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)[44].

وقد نهى الرسول ﷺ عن ترويع المسلم، فقال ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً)[45].

وأيضاً ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال: (من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه)[46].

ولا شك أن الأخذ بالوسطية التي امتن الله ﷻ على العباد بها هو الذي يحقق الأمن لأفراد هذا المجتمع، فالأطراف غالباً هي تتعرض للفساد، سواء في جانب التقصير «التفريط» أو في جانب الغلو، وهو «الإفراط».

فالآمان في شرع الله آمان شامل، والظلم هو الشيء الوحيد الذي يزيل الأمن، وليس هناك من هو أظلم ممن انحرف، ونأى، وتطرف، وبعد عن الوسطية[47]. فقال – تعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ (القصص:59).

وسبيل النجاة هو الأخذ بالوسطية وإجابة داعي الله فيها، قال – تعالى –: ﴿ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ (الأحقاف: 31 – 32)؛ ذلك لأن الوسطية تدعو إلى التمسك بالدين، والتمسك

(44) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: الفقر والزهد، رقم الحديث (671) (2/ 445)، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة (5/ 408).

(45) أخرجه أبو داود في سننه، باب: من يأخذ الشيء على المزاح، رقم الحديث (5006) (4/ 458)، وصححه الألباني في الجامع الصغير (1/ 1362).

(46) صحيح مسلم، باب: معرفة الركعتين... (4/ 2020).

(47) انظر: الوسطية كخصيصة من خصائص القاعدة الشرعية الإسلامية، لمحمد محمد شتا أبو سعد ص (19)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (20)، السنة (5)، السعودية.

بالدين هو الذي يحقق الأمن، وفي تأكيد هذا يقول – سبحانه –: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ (الأنعام:82).

من هنا يستطيع الداعية أن يبين للمدعوين أهمية الوسطية لمن أراد الأمن العام من الخطر أياً كان نوعه، والنأي عن التطرف، والبعد عن الانحراف، فعليه أن يجيب داعي الله، ويتمسك بالوسطية، ويأخذ بها لما فيها من الخير بتحقيق الأمن والأمان للمجتمعات.

المطلب الثالث: الوسطية تحقق الوحدة والألفة بين الناس:

فالوسطية مركز الوحدة، وتمثل نقطة التلاقي الفعلي، فحين تتعدد الأطراف تعدداً قد لا يتناهى يبقى الوسط واحداً يمكن لكل الأطراف أن تلتقي عنده، فهو المنتصف، وهو المركز.

ومركز الدائرة في وسطها يمكن لكل الخطوط الآتية من المحيط أن تلتقي عنده. والفكرة الوسطى يمكن أن تلتقي بها الأفكار المتطرفة في نقطة ما هي نقطة التوازن والاعتدال. كما أن التعدد والاختلاف الفكري يكون حتمياً كلما وجد التطرف، وتكون حدته وشدته بقدر حدة هذا التطرف إفراطاً أو تفريطاً.أما التوسط والاعتدال فهو طريق الوحدة الفكرية ومركزها ومنبعها. ولهذا تثير المذاهب والأفكار المتطرفة من الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة الواحدة ما لا تستثيره المذاهب المعتدلة في العادة[48].

والمتأمل لنصوص الشريعة يجد نصوصاً كثيرة تدعو إلى الوحدة والألفة، ونصوصاً أخرى تنهى عن التفرقة والتنازع، وتحذر من عواقب الفرقة في الدنيا والآخرة، قال – تعالى –: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ (آل عمران:103)، وقال – تعالى –: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (آل عمران:105) ومثال هذه الصورة: الذين يحرصون على اجتماع المسلمين – وبخاصة أهل العلم والدعوة – دون أن يراعوا اختلاف العقائد والعمل. وهذا الطرف من الناس لا يمتنع عنده أن يجتمع أهل القبلة من المسلمين، ويتحدوا فيما بينهم دونما مراعاة لتوجيهات وعقائد المجتمعين، فيمكن أن يجتمع أهل السنة والجماعة مع أهل البدع والأهواء كالصوفية المبتدعة أو الخوارج أو المرجئة أو المعتزلة، بل إن بعض الحريصين على جمع الكلمة لا مانع عنده من الاجتماع أو التقارب مع أهل البدع. ولنا أن نتصور هذا الاجتماع المشكل من خليط من العقائد،

(48) الخصائص العامة للإسلام، ليوسف للقرضاوي ص (122)، والوسطية كخصيصة من خصائص القاعدة الشرعية الإسلامية، لمحمد محمد شتا أبو سعد ص (23)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (20)، السنة (5)، السعودية.

كل عقيدة تضاد الأخرى، وكل حزب بما لديهم فرحون، وكل فرقة لها مصادر تلقيها واستدلالها. فماذا عسى أن يثمر مثل هذا الاجتماع إلا المر والحنظل؛ لأنه لن ينتج عنه إلا تنازلات أو مزايدات تخرم أصول أهل السنة والجماعة وثوابتهم.

نعم قد تمر بأهل السنة ظروف طارئة يضطرون فيها إلى أن يتحالفوا، أو يجتمعوا مع بعض أهل القبلة المبتدعة في دفع خطر داهم من قبل الكفار على بلاد المسلمين، أو في دفع منكر يتفق على دفعه الجميع. وهذا الاجتماع طارئ ومؤقت، وفي مهمة معينة لا أنه دائم وثابت، أو أن فيه تنازلاً لأهل البدع، أو السكوت عن بدعهم.

وكذلك تظهر هذه الصورة من خلال الغالي والمفرط في تحقيق ضوابط الوسطية، وذلك بأن يحجر واسعاً، ويتشدد في وضع الشروط والضوابط التي تؤول بمجتمعه إلى أن يرسموا لأنفسهم كياناً معيناً مغلفاً يرون أنه الحق.

والوسط هم الذين يحرصون على الاجتماع والائتلاف دون أن يكون ذلك على حساب العقيدة وثوابتها، فهم ليسوا مفرطين في ضوابط الاجتماع الشرعية، وليسوا مفرطين في تحقيق شروط الاجتماع[49].

المطلب الرابع: الوسطية تسهم في إبعاد المجتمع من الميل والانحراف، وتشجع الناس على الأخذ بالمنهج المستقيم:

والاستقامة هي الاعتدال، والمضي على النهج دون انحراف، والوسطية ما هي إلا الأخذ بالمنهج المستقيم، قال – تعالى –: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:6)، أي: الطريق السوي الواقع وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب، فإذا فرضنا خطوطاً كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين، فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطاً بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة المهدية إليه وسطاً بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة[50].

قال – تعالى –: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ (هود:112) «فالاستقامة: الاعتدال والمضي على النهج دون انحراف... وأنه لما كان يستحق الانتباه هنا أن النهي الذي أعقب الأمر بالاستقامة لم يكن نهياً عن القصور والتقصير، إنما كان نهياً عن الطغيان والمجاوزة... والله يريد دينه كما أنزله، ويريد الاستقامة على ما أمر دون إفراط ولا غلو، فالإفراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير»[51].

(49) انظر: وكذلك جعلناكم أمة وسطاً، لعبد العزيز ناصر الجليل ص (109 – 110).

(50) تفسير أبي السعود المسمى بـ «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»، لأبو السعود (1/ 172).

(51) في ظلال القرآن، لسيد قطب (4/ 1931).

وذكر القرطبي أن الاستقامة معناها: «الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذ من جهة اليمين أو الشمال»[52].

وذكر ابن القيم أن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعالب»، ثم قال ابن القيم: «فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد»[53].

والاستقامة ضد الطغيان، وهي مجاوزة الحدود في كل شيء[54]، وسئل صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة فقال: «أن لا تشرك بالله شيئاً». يريد الاستقامة على محض التوحيد، فإن من استقام على محض التوحيد الصادق الذي يدين به الصديق، واستقام له توحيده على العلم الصادق بأسماء الله وصفاته وآثارها في الأنفس والآفاق، استقام في كل شأنه على الصراط المستقيم، فاستقام له كل عمل وكل حال[55].

وكما حث القرآن الكريم على الاستقامة حثت السنة – أيضاً – على الاستقامة، فقال رسول الله ﷺ: (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه)[56].

وعن سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسال عنه أحد غيرك، قال: (قل آمنت بالله فاستقم)[57]. وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً، وخط خطين عن يمينه. وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: هذا سبيل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام:153))[58].

وروي عن أبي سعيد ﷺ رفعه قال: (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا)[59].

فاتخاذ الطريق المستقيم، والبعد عن الميل والانحراف في أحد الطرفين، من أعظم آثار الوسطية في المجتمع.

(52) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (9/ 107).

(53) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم (2/ 104، 105).

(54) المرجع السابق.

(55) انظر: المرجع السابق.

(56) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب: الدليل على أن الطاعات كلها إيمان، (1/ 41)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم الحديث (2841) (7/ 42).

(57) صحيح مسلم، باب: معرفة الركعتين، (1/ 65).

(58) سنن ابن ماجه، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم الحديث (11) (1/ 6) وحسنه الألباني في هامش الكتاب.

(59) سنن الترمذي، باب: حفظ اللسان، رقم الحديث (2407) (4/ 605)، وحسنه الألباني في هامش الكتاب. ومعنى قوله: «تكفر اللسان»: تتذل وتتواضع له. انظر: تحفة الأحوذي (7/ 75).

فما يحدث الآن من إرهاب وعنف وتدمير وتخريب داخل المجتمع المسلم، سببه البعد عن المنهج المستقيم الذي رسمه الله ﷻ للمسلمين. والتزام المنهج الوسط، أو الصراط المستقيم هو الطريق الذي سار عليه كل من ﷺ، وأنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

فالأخذ بالمنهج المستقيم الذي هو ثمرة من ثمار الوسطية ينأى بالمجتمع عن الانحراف، ويبعده عن الميل والتطرف، لا يضل من يسير فيه، ولا ينحرف من حافظ عليه، ولا يشقى من لاذ به.

ولذلك أوجب الإسلام على المسلم أن يسأل الله الهداية للصراط المستقيم كل يوم ما لا يقل عن سبع عشرة مرة هي عدد ركعات الصلوات الخمس المفروضة في اليوم والليلة.

فلا استقامة بلا وسطية، يؤيد ذلك ما قاله ابن القيم في مدارج السالكين: «إن الاستقامة على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الاستقامة على الاجتهاد في الاقتصاد، لا عادياً رسم العلم، و لا متجاوزاً حد الإخلاص، ولا مخالفاً نهج السنة. هذه درجة تتضمن ستة أمور: عملاً واجتهاداً فيه، وهو بذل المجهود، واقتصاداً وهو السلوك بين طرفي الإفراط – وهو الجور على النفس – والتفريط بالإضاعة. ووقوفاً مع ما يرسمه العلم، لا وقوفاً مع دواعي الحال، وإفراد المعبود بالإرادة، وهو الإخلاص، ووقوع الأعمال على الأمر، وهو متابعة السنة، فبهذه الأمور الستة تتم لأهل هذه الدرجة استقامتهم، وبالخروج عن واحد منها يخرجون عن الاستقامة، إما خروجاً كلياً، وإما خروجاً جزئياً»[60].

والسلف يذكرون هذين الأصلين كثيراً، وهما: الاقتصاد في الأعمال، والاعتصام بالسنة؛ فإن الشيطان يشم قلب العبد ويختبره، فإن رأى فيه داعية للبدعة، وإعراضا عن كمال الانقياد للسنة، أخرجه عن الاعتصام بها، وإن رأى فيه حرصاً على السنة وشدة طلب لها، لم يظفر به من باب اقتطاعه عنها، فأمره بالاجتهاد، والجور على النفس، ومجاوزة حد الاقتصاد فيها قائلاً له: إن هذا خير وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيها أكمل، فلا تفتر مع أهل الفتور، ولا تنم مع أهل النوم، فلا يزال يحثه، ويحرضه حتى يخرجه من الاقتصاد فيها، فيخرج عن حدها. كما أن الأول خارج عن هذا الحد فذلك هو الآخر خارج عن الحد الآخر[61].

المطلب الخامس: الوسطية توازن بين المطالب الدنيوية والمقاصد الأخروية:

لقد أظهرت الدعوة الإسلامية التوازن جلياً وواضحاً بين أمور الروح وأمور المادة، فليس في الإسلام قوى تهيمن سوى قوة العقيدة، ومن ثم فلا حق لأحد في

(60) مدارج السالكين، لابن القيم (2/ 107).

(61) انظر: تهذيب مدارج السالكين (1/ 7).

تكريس فكرة إشباع الجانب المادي وحده دون التفات إلى الجانب الروحي، ويظهر ذلك جلياً في أن النزعة المغالية في المادية وفي قيمة الدنيا جديرة بأن تولد الترف والطغيان والتكالب على متاع الحياة والغرور والاستكبار عن النعمة واليأس والقنوط عند الشدة[62].

ونرى ذلك واضحاً فيما قصه الله ﷻ عن مصارع الأفراد والأقوام الذين عاشوا للدنيا وحدها، ولم يلقوا للدين بالاً، ولا للآخرة حساباً، ولا للروح مكاناً، كما في قصة صاحب الجنتين عندما تعالى على صاحبه منتفخاً بثروته، وقال: ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ (الكهف: 34 – 36).

وهذا قارون الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة بغى على قومه، واغتر بماله، وعزا الفضل فيه إلى نفسه، وقال: ﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (القصص: 78) فخسف الله به وبداره الأرض.

وهذا فرعون الذي قال: ﴿ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَ�ٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف:51)، وغير هؤلاء من الأمم التي أترفت في الحياة الدنيا، فقتلها الترف، ودمرها التحلل، وحقت عليها كلمة العذاب، وحرمت نصر الله وعونه.

وفي الطرف المقابل نجد أفراداً وجماعات نظروا إلى الدنيا نظرة احتقار وعداوة، فحرموا على أنفسهم طيبات الحياة وزينتها، وعطلوا قواهم من عمارتها، والإسهام في تنميتها، وترقيتها، واكتشاف ما أودع الله فيها.

وأصبح الشائع في مفهوم الناس عن الدين والتدين الحق هو الانقطاع عن العالم، والتفرغ للعبادة، وأن المتدين الحق هو الذي يتبطل فلا يعمل، ويتقشف فلا يتمتع، ويتبتل فلا يتزوج، ويتعبد فلا يفتر، يقضي ليله قائماً، ونهاره صائماً، يده من الدنيا صفر، وحظه من الحياة خبز الشعير، ولبس الرقع، واتخاذ الخلوات داراً[63].

وبين هاتين النزعتين جاء الإسلام يدعو إلى الوسطية والتوازن والاعتدال من خلال استيفاء حظوظ النفس الدنيوية ضمن ما أباح الله ابتغاء للآخرة مصداقاً لقوله – تعالى –: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ (القصص:77).

فالقرآن الكريم يدعو إلى العمل للحياة، والضرب في الأرض، والمشي في مناكبها، والاستمتاع بطيباتها مع الحث على الاستعداد للآخرة، والتزود ليوم الحساب، فقال الله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

(62) انظر: الوسطية كخصيصة من خصائص القاعدة الشرعية الإسلامية، لمحمد محمد شتا أبو سعد ص (31)، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد (20)، السنة (5)، السعودية.

(63) الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي ص (129).

ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ (المائدة: 87 – 88)، وقال – تعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:15).

فلا حظر على متطلبات الحياة طالما أن الإنسان أدى مطالب العقيدة، ولا حظر على نيل الإنسان نصيبه من الحياة الدنيا ما دام قد عمل للآخرة. بل إن الإنسان مأمور بأن يطلب من الله من حسنات الدنيا، وحسنات الآخرة، قال – تعالى –: ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة:201).

والرسول ﷺ كان يأكل من طيبات هذه الحياة، ولا يحرمها على نفسه، ولكنه لم يجعلها شغل نفسه، ولا محور تفكيره، وكان من دعائه: (اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا)[64].

وكان الرسول ﷺ يحذر المسلمين من البعد عن سننه. فقد أنكر على الجماعة الذين استنوا لأنفسهم بدعة تخالف سنته – عليه الصلاة والسلام – فقال: (أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[65].

وكان الرسول ﷺ حريصاً على إشاعة التوازن بين الدين والدنيا، وبين متعة البدن ونعيم الروح، فإذا رأى بعضهم غلا في جانب، قومه بالحكمة، ورده إلى سواء الصراط.

فمثلاً حين أقبل أبو عبيدة بمال من البحرين، وأحس بعض الصحابة بقدومه، فهرولوا مسرعين ينتظرون أن ينالهم شيء منه، وبدا منهم الحرص على هذا المتاع الأدنى، انتهزها النبي ﷺ فرصة ليحذرهم من فتنة الدنيا وغرورها، والحرص على زخارفها، فخطب فيهم قائلاً: (فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)[66].

وهكذا تعلم الصحابة أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة[67].

فالانسجام والتوازن بين مطالب الدنيا ومقاصد الآخرة أثر من آثار وسطية الإسلام التي جاءت جامعة

(64) رواه الترمذي، رقم (3502) (5/ 528)، وحسنه الألباني.

(65) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: الترغيب في النكاح، رقم= =الحديث (4776) (5/ 1949).

(66) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: شهود الملائكة بدراً، رقم الحديث (3791) (4/ 1493).

(67) الخصائص العامة للإسلام، ليوسف القرضاوي ص (133).

بين روح الإنسان ومادته، مما تعطي له زاداً وقوة يواصل بها حاجات الدنيا، وتكون عوناً لفرائض الدين.

إن الحيدة عن الوسطية تؤدي إلى متاهات انزلق إليها أمم هذه الحضارة التقنية الصناعية التي تناطح النجوم بصواريخها، وتغزو الكواكب والأفلاك من جانب، وتنحدر في كوكبها الأرضي إلى مهاو من الضياع النفسي من جانب آخر، فتردى إلى أدنى من الدركات السفلى للحيوان؛ لأن الحيوان تنظمه أحكام غرائزه لا يستطيع تجاوز حدودها والتفلت من قيودها، هي تتفنن بسوء استخدام عقلها وعلمها في تسليط أخزى وسائل الفتك والإرهاب على البشر، كما توغل في الشذوذ الشهواني، وتتهالك على ما يعطل مداركها، ويغيب إنسانيتها، فحينئذ يتفاقم الشقاء، ويعم البلاء، وتنتفي معها منها حقيقة الحياة الدنيوية والأبدية[68].

المطلب السادس: الوسطية قوة وتميز للأمة الإسلامية:

فالوسطية تظهر التميز والخيرية والفضل والقوة في الماديات والمعنويات، ففي الأمور المادية أفضل حبات العقد أوسطه، وفي الأمور المعنوية أفضلها دائماً وخيرها التوسط، فهو خير من التطرف؛ لذلك قالوا: خير الأمور الوسط[69].

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير الوسطية في قوله – تعالى –: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أن الوسط في هذه الآية: «الخيار والأجود. فيقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطا في قومه، أي: أشرافهم نسباً، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات»[70]، وذكر أن الخيرية الواردة في قوله – تعالى –: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران:110): «المراد بها أنهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس»[71].

وقال الإمام الطبري: «معنى ذلك: كنتم خير أمة أخرجت للناس إذا كنتم بالشروط التي وصفهم – جل ثناؤه – بها. فكان تأويل ذلك عندهم: كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله، أخرجوا للناس في زمانكم[72].

والأمة الإسلامية من خير الأمم. فقد روى عن الرسول ﷺ إنه قال: (إنكم وفيتم سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله)[73].

---

(68) الوسطية في الإسلام، لمحمد فرفور ص (133).

(69) انظر: الوسطية كخصيصة من خصائص القاعدة الشرعية الإسلامية، لمحمد محمد شتا أبو سعد ص (18)، مجلة البحوث= =الفقهية المعاصرة، العدد (20)، السنة (5)، السعودية.

(70) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (1/ 454).

(71) المرجع السابق (2/ 93).

(72) تفسير الطبري المسمى بـ «جامع البيان في تأويل القرآن»، للطبري (7/ 102).

(73) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب: صفة أمة محمد ﷺ، رقم الحديث (4288) (2/ 1433)، وحسنه الألباني، في هامش الكتاب.

وقال ﷺ: (أعطيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)[74].

وأوجه قوة الأمة الإسلامية وتميزها كثيرة، أبرزها ما يلي:

أولاً: إيمانها بالله ﷻ:

فكثير من الأمم التي كانت قبل الأمة الإسلامية لم تؤمن بمن كان قبلها من الرسل والكتب، فكذبوا وكفروا بهم. أما الأمة الإسلامية فآمنت بجميع الرسل والكتب التي قبلها مع إيمانها برسولها الخاتم ﷺ وكتابها المهيمن على جميع الكتب، فحق لها أن تكون خير الأمم.

وقد قال الرسول ﷺ: (نحن الآخرون السابقون)[75]. وقال عليه السلام: (نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها)[76].

ثانياً: أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر:

فمن أظهر خصائص الأمة الإسلامية أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر قال – تعالى –: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران:110)، وقد أمر الله ﷻ هذه الأمة بأن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، فقال – تعالى –: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: 104).

كما أوجب النبي ﷺ ذلك على أمته على حسب الاستطاعة، وهي مراتب فقال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع بلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[77]. والأمر في قوله ﷺ: (فليغيره) للوجوب بإجماع الأمة، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

ولقد كانت الأمة الإسلامية أكثر الأمم قياماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى إن أعظم الأمم التي قبلنا – وهم بنو إسرائيل – كانوا مفرطين فيها مما كان سبب غضب الله عليهم، كما قال – تعالى –: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾

(74) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التيمم، رقم الحديث (328) (1/ 128).

(75) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، رقم الحديث (836) (1/ 299).

(76) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: صفة آمة محمد ﷺ، رقم الحديث (4287)(2/ 1433)، وحسنه الألباني في صحيح= =ابن ماجه رقم الحديث (3460) (2/ 426).

(77) انظر: صحيح مسلم، باب: معرفة الركعتين... (1/ 69).

كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة: 78 – 79).

فلما قامت هذه الأمة بهذا الأمر مع تقصير غيرها من الأمم وتفريطها فيه كانت جديرة بما أثبته الله ورسوله لها من الخيرية، إذ خير الناس آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر، فقد روى الإمام أحمد في مسنده. أن رجلاً قام إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ فقال ﷺ: (خير الناس أقرؤهم، وأتقاهم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم)[78].

ثالثاً: لا تجتمع على ضلالة:

فالأمة الإسلامية عصمها الله من الاجتماع على الضلال، بخلاف من قبلها من الأمم من أهل الكتاب: اليهود، والنصارى الذين اندثر الحق والدين الصحيح بينهم، وانقرضت الفرقة التي كانت على الحق، أو انحرفت، وأصبحت فرقهم كلها ضلال وكفر وشك، فها هم – بسائر فرقهم وطوائفهم – قد اجتمعوا على الضلالة والكفر.

ولأن الأمة الإسلامية ذات رسالة تبلغها، وتستمر في إبلاغها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذلك ما كان لهذه الأمة أن تضل عن مهمتها ورسالتها مهما طال عليها الأمد، وامتد بها الأجل؛ لأنها إن ضلت هي فلن يهتدي أحد[79].

قد يضل بعض أفرادها وطوائفها عن الحق، بل قد يكفر ويلحد وينافق طوائف منها، ولكنها لا تجمع ولا تجتمع على ذلك أبداً، وفي صدد تأكيد هذا يقول ﷺ في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (إن الله قد أجار أمتي أن تجتمع على الضلالة)[80].

إذاً، فأمة محمد ﷺ هي الأمة المتميزة، وهي الأمة القوية؛ لأنها أمة قامت بشرع الله عز وجل والتي منها العمل بالوسطية التي أوجبها الله عليها، ولهذا كان لهم الظهور، والظفر، والنصرة، والغلبة على سائر الأمم إلى أن يأتي أمر الله بقيام الساعة[81]. وفي بيان هذا يقول ﷺ: (لا تزال هذه الأمة ظاهرين على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)[82].

***

(78) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث (27434) (45/ 421) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ورجالها ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر (7/ 520).

(79) الوسطية في القرآن الكريم، لعلي الصلابي ص (78).

(80) رواه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (79) (2/ 1)، وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث (33) (3/ 319).

(81) انظر: صحيح مسلم، حديث رقم (1922) (3/ 1524).

(82) أخرجه البخاري في صحيحه، باب: قول الله – تعالى –: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ حديث رقم (2948) (3/ 1134).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحمد ربي المنان عل تيسره وتوفيقه لكتابة هذا البحث الذي خاطب شريحة مهمة من شرائح المجتمع المسلم، والتي تمثلت في الدعاة إلى الله، وكان موضوع «**الوسطية**» الموضوع الأصيل في مضمونه، الذي اتصل بصورة مباشرة بموضوعات هذا العصر، الذي اهتزت فيه المبادئ، واضطرت فيه المعايير، وضاعت منه معالم القيم، حتى فقد عند البعض العدل، والتسامح، والخير.

فكان لابد من وقفة جادة لإظهار موضوع الوسطية بأطر شرعية، على أيد مخلصة صادقه، أمينة، يشعر الناس من خلالهم بقيمة دعوة الإسلام في حياة البشرية، على خلاف التناقضات العميقة التي تقاسمتها المجتمعات المعاصرة، والتي أدخلت البشرية في صراعات مهلكة ومدمرة، جرتها إلى ويلات مصادمة للفطرة، وقاتلة للأخلاق.

فكان هذا البحث لإبراز حاجة داعية اليوم للأخذ بمنهج التوسط فعلاً وممارسة، لا قولاً وفهماً، ولأجله رسمت هذه الدراسة معالم بارزة لدور الداعية مع وسطية الإسلام، هذا الدور الذي اعتمد أساساً على مرتكزين أساسين لا غنى لوسطية الدعوة الإسلامية عن أحدهما.

المرتكز الأول: مع نفس الداعية، وذلك من خلال بناء قناعات شخصية للداعية بأهمية الوسطية ومكانتها في الدعوة إلى الإسلام بسند شرعي من الكتاب والسنة الصحيحة، وأن هذه الوسطية تعد من صميم عمله، لأنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدعوة إلى الله، بل والأهم من ذلك أن الداعية – وهو يمارس العمل بالوسطية – سيجد مساحة واسعة للحركة بسهولة ويسر، لسعة مجال الوسطية، ودخولها في كل مجالات الحياة العقدية، والشرعية، والمالية، والاجتماعية، والنفسية.

ومما يزيد قناعة الداعية الغيور على العمل بالوسطية، إدراكه أن الوسطية هي سبب للريادة والشهادة على جميع الأمم.

المرتكز الثاني: مع المدعوين، وذلك من خلال إظهار تأثير الوسطية المفيد في حياة المدعوين، وقد ظهر ذلك من قيام الوسطية بتمكين الدين وترسيخه في نفوس المدعوين، وتحقيق الأمن والأمان في المجتمع، وتحقيق الوحدة والألفة، وكذلك من ظهور أثر الوسطية في إبعاد المجتمع عن الميل والانحراف، وحملهم للأخذ بالمنهج المستقيم، أضف إلى ذلك أثر الوسطية المفيد في تحقيق التوازن بين مطالب الدنيا ومقاصد الآخرة، وكذلك ظهور تميز الأمة المسلمة وقوتها من خلال وسطيتها.

ونظراً لهذه النتائج العملية لمفهوم الوسطية على المجتمعات فإنني أخلص إلى التوصيات التالية:

أن يكون هناك اهتمام وعناية بالوسطية مفهوماً وممارسة، من قبل الدعاة خاصة، والمجتمعات عامة؛ ولهذا أقترح:

أولاً: قيام مركز يعنى بنشر مفهوم الوسطية في المجتمع، يكون إشعاعاً يتوهج في مسيرة البناء الحضاري للأمة المسلمة لرعاية متغيرات العصر في ظل ثوابت الدين، ويعمل على تعزيز وحدة الصف، وزرع الانتماء الديني والوطني لهذه الأمة الوسط في النفوس، ويعين على قيام شراكة إنسانية صحيحة وعادلة تفي بمتطلبات التفاعل الإيجابي، وتقارب الخطى وتجسد أدب الخلاف(83).

ثانياً: أن يتم وضع مقرر في المراحل الأخيرة من التعليم العام تحت اسم «الدعوة إلى الله» أو «وسطية الدعوة الإسلامية» يعمل على تعزيز ثقافة التوسط الإسلامي، وحب هذه الدعوة المباركة، في نفوس الشباب، من أجل بناء جيل جديد يمتلك القدرات، والمهارات التحاورية بصورة إيجابية، لنشر الدعوة الإسلامية.

ثالثاً: أن تقوم وزارة التعليم العالي بعقد دورات تأهيلية في هذا الجانب لكل المبتعثين قبل ابتعاثهم لمدة لا تقل عن أسبوعين تدرس وتناقش فيها القضايا المحتملة أن يواجهها المبتعث أثناء دراسته؛ لأنه سيواجه تساؤلات عما يحمله من عقيدة ومبادئ، فلابد أن يكون داعية خير لنشر الدين الإسلامي بمنهج التوسط والاعتدال في تلك الدول.

هذا وأسال المولى – سبحانه – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به والدينا وأزواجنا، وذرياتنا، وأن ينفعنا الله بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويزيدنا علماً وعملاً.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبارك وسلم.

***

قائمة المصادر والمراجع

إعلام الموقعين عن رب العالمين. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعي. تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، د.ط، بيروت: دار الجيل، 1973م.

تعامل المؤسسات الأمنية السعودية مع الإرهاب. الحوشاني، بركه بن زامل الحوشاني، بحث قدم للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1425هـ.

تفسير أبي السعود؛ المسمى بـ إرشاد العقل السليم، إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

تفسير الطبري؛ المسمى بـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، مكة المكرمة: مطبعة المكتبة الفيصلية، 1420هـ.

(83) أسوة بالمركز العالمي للوسطية في الكويت، تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ومنتدى الوسطية في الأردن.

تفسير القاسمي؛ المسمى بـ محاسن التأويل. القاسمي، محمد جمال الدين. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط3، بيروت: دار الفكر، 1398هـ.

تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). علي رضا، محمد رشيد. د.ط، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت: دار المعرفة، 1990م.

تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، الرياض: دار طيبة، 1420هـ— 1999م.

تفسير القرطبي؛ المسمى بـ الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. د.ط، الرياض: المؤسسة السعيدية، د.ت.

الخصائص العامة للإسلام. القرضاوي، يوسف بن عبد الله. ط4، مصر: مكتبة وهبة، د.ت.

الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي. د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ— 1975م.

سلسلة الأحاديث الصحيحة. الألباني، محمد ناصر الدين. د.ط، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

سنن ابن ماجه؛ والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

سنن أبي داود. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

سنن الترمذي؛ المسمى بـ الجامع الصحيح سنن الترمذي؛ الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

سنن الدارقطني. الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر. تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني. د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1386هـ.

شرح العقيدة الطحاوية. الحنفي، ابن أبو العز. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1414هـ.

شعب الإيمان. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1414هـ— 1993م.

صحيح البخاري؛ المسمى بـ الجامع الصحيح المختصر. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط3، بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، 1407هـ— 1987م.

صحيح مسلم. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. د.ط، السعودية: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ت.

صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. الألباني، محمد ناصر الدين. د.ط، بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت.

صحيح وضعيف سنن ابن ماجه. الألباني، محمد ناصر الدين. د.ط، الإسكندرية: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية، من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، د.ت.

في ظلال القرآن. قطب، سيد. ط5، بيروت: دار الشروق، 1397هـ.

القاموس المحيط. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين البرهان فوري. تحقيق: بكري حيان، وصفوة السقا، ط5، : مؤسسة الرسالة، 1401هـ.

لسان العرب. ابن منظور، محمد بن مكرم. ط1، بيروت: دار صادر، 1981م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. د.ط، بيروت: دار الفكر، 1412هـ.

مختار الصحاح. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. د.ط، لبنان: دائرة المعاجم، مكتبة لبنان، د.ت.

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي. تحقيق: محمد حامد الفقي. ط2، بيروت: دار الكتاب العربي، 1393هـ – 1973م.

مسند الإمام أحمد بن حنبل. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1420هـ، 1999م.

المعجم الوسيط. مصطفى، إبراهيم ورفاقه. د.ط، الكويت: دار الدعوة، د.ت.

معجم مقاييس اللغة. ابن فارس، أبو الحسين أحمد. د.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت.

مفتاح دار السعادة. ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي. د.ط، الرياض: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، د.ت.

الموافقات في أصول الشريعة. الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي. د.ط، مصر: مطبعة الرحمانية، د.ت.

الوسطية في الإسلام تعريف وتطبيق. الزيد، زيد بن عبد الكريم. ط1، الرياض: دار العاصمة، 1412هـ.

الوسطية في الإسلام. الفرفور، محمد عبد اللطيف. ط1، بيروت: دار النفائس، 1414هـ.

الوسطية في الإسلام. الميداني، عبدالرحمن حبنكة. ط1، بيروت: مؤسسة الريان، 1416 هـ.

الوسطية في القرآن الكريم. الصلابي، علي محمد. ط1، الإمارات: مكتبة الصحابة، 1422هـ.

الوسطية في ضوء القرآن الكريم. العمر، ناصر. ط1، الرياض: دار الوطن، 1413هـ.

الوسطية كخصيصة من خصائص القاعدة التشريعية الإسلامية. أبو سعد، محمد بن محمد شتا. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. س (5)، ع (20)، 1414هـ، ص 7 – 48.

وكذلك جعلناكم أمة وسطا. الجليل، عبد العزيز بن ناصر. مصدر الكتاب: موقع المسلم نت (www.almoslim.net).

* * *